المتن

القاعدة الرابعة

* الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال، فكلما كثرت وتنوعت دلالتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر.

* ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية، كما هو معلوم.

الشرح

انتبه لكلمة:"ظهر من كمال الموصوف"ولم يقل حَصَلَ للموصوف , ما الفرق؟

لأن هذا حاصلٌ، فكمالُ اللهِ تعالى حاصلٌ سواء علمناه أولم نعلمه، لكن كلما تعددت ظهر لنا من صفات كماله مالم يكن ظاهرًا من قبلُ.

أما إذا قال:لأنه كلما كثرت وتنوعت دلالتها ؛ حصل الموصوف هناك مالم يحصل من قبل؛ صار هذا بالنسبة لصفات الله غير سديد.

والصفات الثبوتية أكثر بكثير من الصفات السلبية ،لأنها تدل على المدح.ولذلك لو أنك وقفت أمام ملك من الملوك وقلت: أنتَ الكريمُ بلا شُحٍ، أنت الشُجاعُ بلا جُبنٍ ، أنتَ الجوادُ بلا قلة ، أنت القويُّ بلا ضعفٍ ، وما أشبه ذلك ؛ لكان هذا بالنسبةِ له محبوباً إليه ، أما لو قلت له :أنت لست بزبالٍ ، ولا كساح ، ولا كناسٍ ، ولا غسال ثياب ،ولا خدام ،ولا طباخ ، وما أشبه ذلك ،لكان هذا بالنسبة له مكروهًا ، يقول الملك ؟ يقول اضربوه.

لأن صفات النفي هذه لاينبغي أن تُقال أبدًا مع العلم بأن أهل التعطيل يُركزون على صفات النفي، ولايقولون شيئًا عن صفات الإثبات ، لأنهم والعياذ بالله يعتقدون أن صفات الإثبات تقتضي التمثيل ؛ وصفات النفي تقتضي العدم وليس فيها تمثيل.

المتن

أما الصفات السلبية فلم تذكر غالبًا إلا في الأحوال التالية:

1-الأولى: بيان عموم كماله كما في قوله تعالى "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ"[الشورى:11] ,"وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ"[الإخلاص: 4].

الشرح

أما قوله "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ"[الشورى: 11]،هل قال في كذا وكذا من صفات العيوب؟ لا بل عمم النفي، فالنفي هنا مجمل ، وهذا مدحٌ بلا شك لكن النفي المُفصَل هو العيب حقًا.

المتن

2-الثانية: نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون، كما في قوله "أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا "[مريم:91- 92]

الشرح

هذا نفى الولد ، وهو نفي عام ولا خاص؟ خاص؛ وقد قلنا إن النفي الخاص ليس مدحًا في الواقع ، لكنه عز وجل قد نفاه هنا نفيًا خاصًا لنفي ما ادعاه الكاذبون الذين ادَّعو لله ولدًا، فأخبر الله تعالى بنفي ذلك خاصة، كما أخبر بنفي الزوجة نفيًا خاصًا بقوله :" وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا "[الجن:3]

المتن

3-الثالثة: دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعين، كما في قوله "وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ"[الأنبياء:16] . وقوله "وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ"[ق: 38]

الشرح

فهمنا من الآية الأولى نفي النقص في الإرادة ، وفي الآية الثانية نفي النقص في الفعل والتنفيذ. ففي الأولى كمال الإرادة حيث قال "وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ"[الأنبياء:16] أي: أردنا بهذا الخلق حقًا ولم نرد به اللعب والسُّدى ،.ففى الأولى كمال الإرادة ، وفى الثانية بين كمال القوة "وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ"[ق:38]. مامعنى اللغوب: التعب والإعياء. والمراد بستة أيام: قيل أن المراد بستة أيام ؛ ستة آلاف سنة، لقوله تعالى: " وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ "[الحج:47]

وإلى هذا جنح علماء الجيولوجيا ؛ حيث قالوا: بأن تكوين الأرض وتضاريسها و الأفلاك يحتاج إلى مدة ووقت طويل حتى تنتقل من مرحلة إلى مرحلة حتى تصل إلى ما هي عليه الآن ، وقدَّروا هذه المدة بستة آلاف سنة. وبعضهم أطال المدة فقال: ملايين الملايين من السنين.

وقال آخرون: المراد بستة أيام ؛ ستة ساعات أو أزمنة ، وهي كست لحظات؛ لأن الله يقول للشيء : "كُن فَيَكُونُ."

وقال آخرون بل المراد ستة أيام كأيامنا هذه ، وقد خلقها الله-عزوجل-في هذه المدة ؛ ليُعلم عبادَهُ كيف يصنعون الأشياء بإتقان دون السرعة.

والصحيح أنها ستة أيام كأيامنا، وأما كونه عز وجل قدرها بهذا ، فهذا من الأمورالتي لا نستطيع إدراكها واللهُ أعلم.

فليس لقائلٍ - مثلاً - أن يقول: جعل اللهُ أُذنَ الجملِ صغيرة ، وأذن الحمار كبيرة ، مع أن الأنسب العكس، لكون الجمل أكبر حجمًا. ليس له أن يقول ذلك لأن مثل هذه الأشياء لا يستطيع الإنسان أن يُعللها.فليس للإنسان في مثل هذه الأشياء إلا التسليم لله - عزوجل-سواء في الأمور الشرعية أو الأمور الكونية.